أوّلاً:

اللّبس الآتي من التّصويت:

ليس ثَمّ رَيبٌ في أنّ المفاصلَ الصّوتيّةَ عامل رئيسٌ في الكشفِ عن المتعيّن من المعاني كما تقدّم قبْلاً، وأنّ استحضارَها في الأحداث الكلاميّة الحيّة يدرأ عن السّامع الولوجَ في مزالق اللّبسِ الآتي مِن هذه الجهةِ، وإخال أنّ بمُكْنَةِ الباحث أنْ يقفَ على طائفةٍ من الكَلم التي ترتدّ، في عهد متقادِمٍ، إلى كلمتَين أو أزْيَد، ولكنّ تغييب هذه الإمكانةِ أَذِن بتوحُّد الكلمتين في لَبوس كلمة واحدة، ومن الأمثلةِ المُبِينة عن ذلكم عدّ "بَرّد" مِن الأضداد؛ إذ إنّ بعض اللّغويّين يذهبون إلى أنّه يقع تحتَها معنيان: "برّد" بالمعنى المعروفِ الذّائع، و"بَرّد" إذا أسخن، وقد احتجّوا بقول الشّاعر:

عافَتِ الشّرْبَ في الشّتاءِ فَقُلنا بَرِّديهِ تُصادِفيهِ سَخينا

والمعنى: سخّنيهِ، ولكنّ النّظرَ المدقِّق يأبى هذا أنْ يكون؛ ذلك أنّ الأصلَ المتقادِمَ "بلْ رِديهِ"، فأدغم اللاّم في الرّاء، فصارتا راءً مشدّدة، فتداخلت حدودُ الكلم، فأعقبَ هذا وهمًا مؤدّاه أنّهما كلمة واحدةٌ تحتمل معنيَين متضادَّين[1].

ومثل ذلك أيضًا **"أَيْشٍ"**؛ فأصلها: "أيّ شيء"[2]، ولعلّ هذا التّدقيق هو الذي أفضى بالفرّاء إلى الاعتقاد بأنّ أصل (يا لَزيد) هو: يا آل زيد، فخفّف الهمز، وغدتْ على ما هي عليه[3]، ولستُ أزعم أنّ فيما تقدّم لبسًا، ولكنّه نظرٌ تاريخيّ دالّ على تداخل حدودِ الكلم.

لِنَرْجِع النّظر في طائفة مِن الكلمِ التي لا يتجلّى معناها إلاّ باسترفادِ المَفْصِل الصوتيّ هاديًا ومحتكَمًا في تعيين الوحَدات الصّرفيّة المتآلفة:

1- إلى D هَنا رَجعنا إلَهَنا رجعنا

2- إلى D هُنا كافٍ إلهُنا كافٍ

وفي مثالٍ آخرَ مُبين:

---

(1) انظر: ابن الأنباري، الأضداد، 64، وابن هشام، المغني، 1/ 373، والرواية: "عافت الماء"، وابن منظور، اللسان، مادة "ب ر د".

(2) انظر: ابن الأنباري، الإنصاف، 2/ 528.

(3) انظر: ابن الحاجب، شرح الكافية، 1/319، وقد أشار ماريو باي إلى أن الخلط في أماكن الفصل عمل على خلق تغييرات تاريخية، وذلك نحو: an ewt، فقد تطورت فغدت: a newt. انظر أمثلة أخرى: باي، أسس علم اللغة، 96.

ويُفترض في هذا المثالِ المصنوع أنّ ثَمّ وقفًا يُخفي العلامةَ الإعرابيّة الواقعة على أواخر الكلمِ؛ ذلك أنّ تحريك الآخرِ في هذا المثال باعثٌ على إقامة البَونِ بين المعنيين النّحويّين اللّذين يكتنفان موقع القمر: الإضافة والفاعليّة.

1 - سيأتي D كبكر سيأتيكَ D بكر

2- سيأتي D كخالد سيأتيك D خالد

3- هي في هواه تحت D هي في هواه تحترق

رق

4- انتبه فأنت D به انتبه فأنتبه

5- حلالي حلا D لي

6- لوD لام Dساعي البريد لما وصلت إليك الرسالة .

7- لولا D مَساعي البريد لما وصلت إليك الرسالة.

8- لو D لام D راعي الخير

9- لولا D مراعي الخير

والحقّ أنّ هذا يكثر إنْ تتبّعته، والمبتغَى ممّا تقدّم هو التّنبيه على لَبسٍ آتٍ مِن تداخل حدودِ الكلم على مستوى نطقيّ[4]، وقد وقف ابن جنّي على نماذجَ مشرِقةٍ في دلالتِها على هذه المباحثة، ففي بباب "توجّه اللّفظ الواحد إلى معنيين اثنين" أشار إلى أنّه باب في نهايةِ الانتشارِ، "وليس عليه عَقْد هذا البابِ، وإنّما الغرض البابُ الآخر الأضيق الذي ترى لفظَه على صورةٍ، ويحتمل أن يكونَ على غيرها، كقولِه:

نَطعَنُهم سُلْكى وَمَخْلوجَة كَرَّكَ لامَينِ عَلى نابِلِ

---

(4) ومن الأمثلة في الإنجليزية:

an aim – a name
an ice man – a nice man
nitrate – night rate
انظر : Kooij, J., Ambiguity in Natural Language: An Investigation of Certain Problems in its Linguistics Description, North- Holand Publishing Company, Amsterdam, 1971, P. 15-17.

وقد سماها تشومسكي بالجناس التركيبي، انظر: البنى النحوية، 113.

فهذا يُنشَد على أنّه ما تراه: كرّكَ لامَين (أي ردَّك لامين)، وهما سهمان، على نابل،...، ويُروى أيضًا على أنّه: كرّ كلامين على صاحب النّبلِ، كما تقول به: ارمِ ارمِ، تريد السّرعة والعجلة"[5]، والملاحظ ممّا تقدّم أنّ تغييب المَفْصِلِ الصّوتيّ أفضى إلى التّداخل بين الوحَدات الصّرفيّة: "كرّكَ لامَيْن – كَرّ كَلامَين".

ومِن مثلِ ما تقدّم المثلُ السّائر: **"زاحِم بِعَوْدٍ أوْ دَعْ"**.

والمعنى: زاحِم بقوّة، أو فاتركْ ذلك، "وقد توهّمه بعضهم: بعَوْد أودعَ، فذهب إلى أنّ "أودع" صفة لِعَود، كقوله بِعَوْد أوقص، أو أوطفَ، أو نحو ذلك ممّا جاء على "أفعل" وفاؤه واو"[6].

ومِمّا هو مضارعٌ لما تقدّم:

وَما جَلْسُ أبْكارٍ أَطاعَ لِسَرحِها جَنى ثَمَرٍ بِالوادِيَينِ وَشوعُ

موضع النّظر والمباحثةِ في هذا البيت قوله: "وشوع"؛ إذ فيها قَولان، أوّلهما "وشوع" بمعنى كثير، وبهذا تكون صفةً لجنى ثمرِ الواديَين، وثانيهما أنّ الواو ليست جزءًا مِن بِنية الكلمة في ذاتِها، وإنّما هي كلمةٌ قائمة برأسِها تفيد العطف، والشّوع ضربٌ من النبت[7]، ولعلّ هذا اللَّبْس لا يُرْفَع إلاّ بتعيين المَفْصِل الصّوتيّ: وَD شوع – وَشوع.

وكذلك قولُ الآخر:

وَغَلَتْ بِهِم سَجْحاءُ جارِيةٌ تَهوي بِهِم في لُجّةِ البَحْرِ

موضع النّظر في هذا السّياقِ قوله "وَغَلت"؛ ذلك أنّ ثمّ اشتباهًا بين كونِها ثلاثة مورفيمات: "وD غلي/ت"، أو مرفيمين: "وغل/ت"، وإذا ما رُجِّح الوجهُ الأوّل فالواو عاطفة،

---

(5) انظر: ابن جني، الخصائص، 3/168-169، وقد وقف عند هذا اللبس الصوتي صاحب الوساطة، انظر: الجرجاني، الوساطة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1966م، 418، والشعر لامرئ القيس في ديوانه، ط1، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، 1958م، 148.

(6) انظر: ابن جني، الخصائص، 3/171.

(7) انظر: ابن جني، الخصائص، 3/172، والشعر للطرماح بن حكيم، انظر: ديوانه، تحقيق عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق، 1968م، 259.

والفعل مِن الغليان، وإذا كان التّرجيح للوجه الثّاني فالواو جزءٌ فاعلٌ في تشكيل بِنية الكلمةِ الأولى، والفعل مِن التوغُّل[8].

ومثله قولُ ابن مالكٍ:

لِفاعَلَ: الفِعالُ وَالمُفاعَلَهْ وغَيرُ ما مرّ السّماعُ عادَلَهْ()

والنّاظر في قولِه: "عادَله" يتردّد بين معنيين لا يُوقَف على أحدهما إلاّ بالتّوهّم والتّرجيح، فهل هو: "عادD له؟ والفعل في هذه الحال من العَوْد، "وله" جارّ ومجرور، أو هو: "عادَله"، والفعل هنا مصدره المعادلةُ، وهو متّصل بمفعولِه[9].

وقد تقدّم قبْلاً أنّ المَفصِل ليس مقصورًا على تعيينِ حدود الكلماتِ وتمايزِها، بل هو إمكانةٌ لتعيين حدودِ الجملِ والمعاني النّحويّة، ومِن ذلك الأمثلة الآتيةُ:

1- "قال الملك هو الصالح".

الظّاهر مِن هذه الجملةِ أنّها محتمِلة لمعنَيين:

- أوّلهما: قال D الملك هو الصالح.
- وثانيهما: قال الملك D هو الصالح.

ولا يخفى أنّ المَفصِل الصّوتيّ يتضافر مع إمكانةٍ أخرى، وهي التّنغيم، لرفعِ هذا الاشتباهِ الآتي مِن تغييبهما معًا.

2- وممّا هو قريب ممّا تقدّم قوله -تنزّه- في التّنزيلِ: **"قالَ D اللهُ عَلى ما نَقولُ وَكيلٌ"[10].** وليس ثمّ ريبٌ في أنّ هذه الوقفة "المفصل الصّوتيّ" المشفوعةَ بتنغيم مُبِين مردّها إلى الاحترازِ مِن توهّم الاسم الكريم "الله" فاعلاً، وإنّما الفاعل في ذلك السّياقِ الشّريف يعقوب عليه السّلام[11].

([8]) انظر: ابن جني، الخصائص، 3/175، وقد نسبه المحقق إلى المسيب بن علس.

([9]) انظر: الصبان، الحاشية، 2/467، وقد ذهب ابن عقيل في شرح الألفية إلى أن معنى قوله "عادله" أن السماع كان عديلاً له.

([10]) الآية (يوسف، 66).

([11]) انظر: الزركشي، البرهان، 1/345.

3- ومِن نحو ما تقدّم قولُه –تعالى-: **"فلا يحزنْك قولُهم D إنّا نعلمُ ما يسرّون وما يُعلنون"**[12]؛ ذلك أنّه ربّما قفز إلى الخاطرِ وهمُ مؤدّاه أنّ ما بعد "قولهم" محكيّ بالقولِ، وليس ذلك كذلك البتّة، لأنّه ليس مَقولا لهم[13]، وقد عدّه النّحّاسُ والدّانيّ قطعًا تامًّا[14]، وفي كثير مِن مِثْل هذه المواضعِ تتجلّى قيمة المَفصلِ الصّوتيّ الذي يعملُ على انفساخِ نسيجِ التّركيب، لتستويَ المعاني النّحويّة وِفاقًا لمكنوناتِ المعاني في النّفس، ومن ذلك:

لا تقلق اليومَ D سيُعقد الامتحان.

لا تقلقْ D اليومَ سيعقد الامتحان.

فالجملة المبتدَأ بها يكتنفها نهي عن القلقِ في زمان مُعيِّن، ثمّ يعقب هذا النّهيَ إخبارٌ بتنغيمٍ مفارق لتنغيمِ النّهي. أمّا الجملة الثّانية فهي قائمةٌ على النّهي عن القلقِ، ويعقبُها أخبارٌ بأنّ موعد الامتحان اليوم.

ومِن الأمثلة الدّالّة المُبينةِ عن فضل تضافرِ المفصِل والتّنغيمِ في تعيينِ المعاني النّحويّة قوله -تعالى- في التّنزيل العزيز: **"قُل يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلمَةٍ سَواءٍ بَينَنَا وَبَينَكم أَلاّ نَعبدَ إلاّ اللهَ"**[15]، فقد تباين وجهُ القولِ على إعراب المصدر "ألاّ نعبد إلا الله"، فقيل:

- جُرّ بدلاً مِن "سواء"، أو مِن "كلمة".
- وقيل هو مرفوع، والتّقدير: "هي ألاّ نعبد".
- وقيل –وهذا مضرِب التّمثيل– إنّ الكلامَ قد تمّ على "سواء"، ثمّ استُؤنف، فغدا السّياقُ الشّريف: "قل يا أهلَ الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ D بيننا وبينَكم ألاّ نعبدَ إلاّ اللهَ"[16]، ولا يخفى أنّ تجاذبَ القول في هذا النّظرِ التّركيبيّ، وتعدّدَ المعاني النّحويّةِ، مردّهما إلى تباينٍ في تعيين المَفصِلِ.

([12]) الآية (ياسين، 76).

([13]) انظر: ابن هشام، المغني، 2/502.

([14]) انظر: النحاس، القطع والائتناف، تحقيق أحمد العمر، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1978م، 601، والداني، المكتفى، 302.

([15]) الآية (آل عمران، 64).

([16]) انظر: ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، 1/207، والعكبري، البيان في إعراب القرآن، تحقيق علي البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م، 1/269.

ولعلّ لتغييبِ المفصِلِ والتّنغيم فضلاً في سلوكِ سبيل التّعميةِ والإلباس، فلو أنّ زاعمًا أراد أنْ يدرَأ عن نفسِه العذابَ أو التّهمة، فإنّه سيفيد مِن هذه الإمكانة معمِّيًا ومغطِّيًا لِما اجترحه مِن صنيعٍ، ومثال ذلك أنّ ثَمّ حدثًا كلاميًّا يتجاذبه ثلاثة: اثنان متقاضيانِ، والثّالث على رأسهما قاضٍ، وقد فزع الأوّلُ إلى بثّ شكواه، فنهد الثّاني لتفنيد مزعمِ الأوّلِ، فتنازعا، فطلب القاضي إلى المشتكَى عليه القولَ الفصلَ، فقال: "والله يا سيّدي، ما أخذت له الذي زعم"! وقدْ أخفى في نفسِه ما المَفصِل والتّنغيم مُبدِياه: "ما أخذتُ D له الذي زعم".

ولعلّ إغفال الكسائيّ للمَفْصِل الصّوتيّ والتّنغيم هو الذي أفضى به إلى اللّحنِ؛ فقد قيل إنّ اليزيديّ سأله بحضرةِ الرّشيد عن هذا البيتِ:

لا يَكونُ العَيْر مُهْرًا لا يَكونُ المُهْرُ مُهْر

فوهم الكسائيّ إذْ ظنّ أنّ الشّاعر قد أقوى؛ ذلك أنّ "كان" تطلب اسمًا مرفوعًا، وخبرًا منصوبًا، ولكنّ قول الشّاعر: "لا يكون المهرُ مهرُ" لا يتساوق وقواعدَ السّلامةِ اللّغويّة، فأعاد اليزيديّ عليه الكرّة ثانيةً، وقال: أنا أبو محمّد، الشّعر صواب، إنّما ابتدأ فقال: المهرُ مهر"[17]، والمعنى أنّ "لا يكون" الثّانيةَ هي توكيدٌ للأولى، و"المهر مهر" مبتدأ وخبرُ.

وللتّنغيم فضلٌ في تحديد المعاني النّحويّةِ العريضةِ؛ كالاستفهامِ، والتعجّب، والنّداءِ، وغيرِ ذلك، وقد يحدث أحيانًا أنْ يقع اللّبْس من تجريدِ الأحداث الكلاميّة مِن سياقاتِها الحيّة، ومِن ذلك ما يأتي مِن مُثُلٍ:

1- عليك السّلام

فهذه الجملة محتمِلة متردّدةٌ بين معنى الإغراء، و"عليك" اسم فعل أمرٍ، والمعنى الكلّيّ: الزم السّلام، ومعنى الأخبار: "وعليك" جارّ ومجرور تقدّما مبتدأهما، وليس يُنسَى أنّ العلامةَ الإعرابيّة دليل هادٍ لتعيين المعنى النّحويّ، ولكنّ الوقفَ على الأواخر ينسخُها فتغدو كأنّها لم تكنْ، ويبقى التّنغيم "درجة الصّوت" في سياق حيٍّ المحتكَمَ الأوّل لرفعِ هذا الاشتباهِ.

2- "ما يَضيرُك لو أنّك ذهبت"

وهذه الجملة تحتمل معنيين: معنى الاستفهام: "ما يضيرك لو أنّك ذهبت؟"، ومعنى النّفي، وكلا الوجهَين محتمَل صالح. وكذلك قولُه –تبارك-:

([17]) البيت مثبت في ألغاز ابن هشام، تحقيق أسعد خضير، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، 17. والحادثة ذكرها السيوطي، الأشباه والنظائر، 6/213، بتحقيق عبد العال سالم مكرم.

3- "قُتِلَ الإِنسانُ ما أكفَرَه"[18].

فقدْ تردّد المعربون في إعراب "ما" في هذا السّياقِ الشّريفِ بين وجهين متباينَين، أوّلهما أنّها استفهاميّةٌ، والمعنى: أيّ شيءٍ حمل الإنسانَ على الكفرِ مع ما يرى مِن الآيات الدّالّة على التّوحيدِ، وثانيهما أنّها تعجبيّة[19]، كقولنا: ما أعظمَ محمّداً! والمعنيان محتمَلان لا يتدافعان، والباعثُ على هذا التّعدّد هو تغييبُ التّنغيم الذي يحدّد المتعيَّن.

4- "ما أغْنى عَنهُ مالُهُ وَما كَسَبَ"[20]

و"ما" في سياقِها محتمِلة أيضًا معنيَين: الاستفهام والنّفي[21]، وكلاهما مفارِق للآخَر، ولا يتعيّن المعنى إلاّ باسترفادِ التّنغيمِ.

5- ما يَضرّ البَحرَ أمْسى زاخِرًا أَنْ رَمى فيهِ غُلامٌ بِحَجَرْ

وقد تكونُ "ما" استفهاميّةً، فيصير في "يضرّ" ضميرٌ عائد عليها، ويكونُ "أنْ رمى" في موضعِ نصبٍ، والمعنى: أيّ شيءٍ يضرّ بالبحرِ يرمي غلامٌ فيه بالحجر، ويجوزُ أنْ تكون "ما" نافيةً، فيصير موضعُ "أن رمى" رفعًا بالفاعليّةِ، والمعنى: ما يضرّ البحرَ رَميُ غلامٍ فيه بالحجر[22]. والحقّ أنّ بمُكنةِ المرءِ أنْ ينظرَ في علّة هذا اللَّبسِ جانحًا إلى أنّ تعدّد معاني "ما" باعثٌ على وقوعِ اللَّبسِ، ولكنّ التّنقير والتّأمّلَ يُفضيان إلى استشرافِ علّة العلّة، وهي غيابُ التّنغيم.

6- أَعْبدًا حَلَّ في شُعَبَى غَريبًا أَلُؤمًا لا أبا لَكَ وَاغتِرابا

---

(18) الآية (عبس، 17).

(19) انظر: النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير زاهد، ط3، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1988م، 5/151، ومكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم الضامن، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، 2/803، وابن الأنباري، البيان، 2/494، والعكبري، التبيان، 2/1272، والزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، دمشق، 4/219، وأبو حيان، البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، 8/420.

(20) الآية (المسد، 2).

(21) انظر: النحاس، إعراب القرآن، 5/305، ومكي، مشكل إعراب القرآن، 2/851، وابن الأنباري، البيان، 2/544، والعكبري، التبيان، 2/1308، وابن هشام، المغني، 1/414.

(22) انظر: الفارسي، شرح الأبيات، 508، والشعر للأخطل في ديوانه، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، 1996م، 472.

يُحمَل معنى البيتِ الكلّيّ على محمِلَين:

- أوّلهما النّداءُ، والهمزةُ هنا لنداء القريبِ.

- وثانيهما الإخبارُ المكتَنَف باستهزاءٍ وشتيمةٍ، والمعنى: أتفخرُ عبدًا، ولم "تُرد أنْ تخبر القومَ بأمرٍ قد جهلوه، ولكنّك أردت أنْ تشتمَه بذلك"[23].

7- "رأيتُهم عَمِيت أعينُهم"

تتردّد هذه الجملةُ بين معنيين: الأوّل "رأيتهم وقد عميتْ أعينُهم، أي وقعتْ الرّؤيةُ في هذه الحالِ، والثّاني أنّ القائل أخبر برؤيتِهم ثمّ استدرك بدعاءٍ عليهم فقال: "عميتْ أعينُهم"، ولا يجُلَّى المعنى إلاّ بسكتةٍ لطيفةٍ عقبَ "رأيتهم"، ثمّ يأتي الدّعاءُ بهيئة تنغيمٍ تُنبِئ عن حواشي النّفسِ بما يخالطُها مِن حقدٍ مركوزٍ فيها[24].

8- "لا ينبغي لكم أنْ تتخاذلوا ولا تتهاونوا"

عَودًا على المَفصِل والتّنغيمِ ثانية؛ ذلك أنّ موضع المفصِلِ وتباينَ درجةِ الصّوت يعملان على تباينِ المعنى المتعيِّن مِن هذا السّياق التّركيبيّ، فلو كان المعنى: لا ينبغي لكم أنْ تتخاذلوا D ولا تتهاونوا، لأصبح المتعيّن أنّ الواعظَ يحضّ النّاسَ على مجافاة التّهاونِ كما ينهاهم عن مجافاةِ التّخاذل أيضًا، وإذا كان موضعُ المفصِلِ: لا ينبغي لكم أنْ تتخاذلوا ولا تتهاونوا D، وكانتْ درجةُ الصّوتِ واحدةً غيرَ متفاوتة، فالمرادُ أنّه لا يرضى للنّاس التّخاذلَ ولا التّهاون، وثمّ بَونٌ نحويّ في إعرابِ الفعل "تتهاونوا"؛ إذ هو مجزومٌ بلا النّاهيةِ، وعلامة جزمِه حذفُ النّون. أمّا على الوجهِ الثّاني فهو منصوبٌ معطوفٌ على "أن تتخاذلوا"، والواو عاطفةٌ فعلاً على فعلٍ، والمعنى الكلّيّ: لا ينبغي لكم أنْ تتخاذلوا وأنْ تتهاونوا.

9- وَلَو أَنّ عَرْضَ البَحرِ بَيني وَبَينَها لَحَدّثْتُ نَفْسي ما إِليكِ مَخاضُ

موضعُ التّأمّل قولُه: "ما إليك مخاض"؛ ذلك أنّ "ما" تحتملُ أن تكون نافيةً؛ أي أنّ القائلَ قد استحكم في خواطرِه انعدامُ الوسيلةِ في الوصولِ إلى المخاطَبةِ، وهذا المعنى لا يتجلّى إلاّ بمفصِلٍ صوتيّ بعد قولِه: "لحدّثتُ نفسي D ما إليك مخاض" مشفوعًا بارتفاع درجةِ الصّوتِ الدّالّة على النّفي. وقد تكون "ما" موصولةً بمعنى "الذي"، والمعنى الكلّيّ أنّ

---

(23) انظر: سيبويه، الكتاب، 1/345، والشعر لجرير، انظر: ديوانه، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1964م، 56.

(24) مجيء الفعل الماضي حالاً من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، وقد ذهب الكوفيون إلى جوازها، أما البصريون فقد أنكروا ذلك، ومن أدلة الكوفيين قوله –تعالى-: "أو جاؤوكم حصرت صدورهم" (النساء، 90)، انظر: ابن الأنباري، الإنصاف، 1/252.

القائلَ ذو همّة تأبى أنْ تقنع إلاّ بالوصولِ والتّأتّي لذلكم المخاضِ، ويكون تقدير الكلامِ وِفاقًا لهذا الوجهِ: "لحدّثتُ نفسي بالذي هو إليك خوضٌ"[25].

ولعلّ مِن أشدّ مواضعِ اللّبس في مطلبِ الحديثِ عن التّنغيمِ هو حذف حرفٍ مِن السّياق البِنيويّ، كحرفِ الاستفهامِ، والتّعويلُ على فضل التّنغيم في الإبانةِ، ولكنّ المعضلةَ حادثةٌ في المستوى الكتابيّ، والانسلاخِ مِن السّياق، ومِن ذلك قولُ الشّاعرِ:

ثُمّ قالوا تُحِبّها قُلتُ بَهرًا عَددَ النّجمِ وَالحَصى وَالتّرابِ

فقدْ قيل إنّ همزة الاستفهامِ محذوفةٌ، والمعنى: أتحبّها، وقيل: ليس ثَمّ حذفٌ مِن هذا السّياق البِنيويّ، والمعنى الإخبار، أيَ: أنت تحبّها، وكلا الوجهَين صالحٌ مُتقبَّل[26].

ومِن مِثل ما تقدّم قولُه –تقدّس اسمُه-: **"وَتلكَ نِعمَةٌ تَمنّها عَليَّ أنْ عَبّدتَ بَني إسْرائيلَ"[27]**، فقد تردّد معنى هذه الآيةِ الكريمةِ بين أسلوبَين: الاستفهام والإخبار:

- أمّا الأوّلُ فعلى حذفِ حرف الاستفهامِ، والمعنى: "أو تلك نعمةٌ تمنّها عليّ".
- أمّا الوجهُ الثّاني فهو الإخبارُ، والمعنى –كما يقول الفرّاء– هي نعمةٌ إذْ ربّيتني، ولم تستعبدْني كاستعبادِك بني إسرائيلَ[28].

أمّا على صعيدِ الدّرس التّقابليّ "Contrastive Analysis" فقد يتعذّر على العَجَم نطقُ بعض الأصواتِ كالعين، فيبدلونها همزةً، ومِن ذلك: "ناعمة – نائمة"، و"القمر – الكمر"، والحقّ أنّ هذه الأمثلةَ ونحوَها ليست ممّا ينتسبُ إلى ظاهرةِ اللّبس؛ ذلك أنّ تمثّلَ هذه الظّاهرةِ مضمارُه الميدان اللّغويّ المحضُ لا ما يخالطُه مِن عُجمة أو مرضٍ نطقيّ، وممّا يخرجُ عن هذا المِضمارِ

([25]) انظر: الفارسي، شرح الأبيات، 447، وقد نسبه الفارسي للقناني.

([26]) انظر: ابن جني، الخصائص، 2/283، وأظهر الأمرين عنده أن يكون أراد: "أتحبها"، وابن هشام، المغني، 1/20، ولم يغلب وجهًا على وجه، والشعر لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، 431.

([27]) الآية (الشعراء، 22).

([28]) انظر: الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 2/279، وانظر هذه الآية: الأخفش، معاني القرآن، تحقيق هدى قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، 2/461، وقد اقتصر على معنى الاستفهام، والنحاس، إعراب القرآن، 3/176 – 177، والمعنى عنده الإخبار، والعكبري، التبيان، 2/995، والمعنى عنده الاستفهام، وابن هشام، المغني، 1/20، وقد ذكر الوجهين مرجحًا الإخبار، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، 34، وقد ذهب إلى الاستفهام.

الألفونات الإقليميّة وتباينها، ومِن ذلك ترقيقُ القافِ، والكشكشةُ، والجيم المِصريّة، والقاف البدويّة، وغيرُ ذلك[29].

(29) انظر في مطلب الحديث عن الإشكال الآتي من العجمة: حلمي خليل، العربية والغموض: دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، 179-187.